

# تجاوز مرحلة الأحزان

الحوار الأول

قال لي محدثي: “لقد خاننتي زوجتي لمدة ثلاث سنوات قبل أن أعترف لنفسي أنها تخونني. كان جميع الناس، بمن فيهم أولادي المراهقون، على دراية بالموضوع. أما أنا، فكنت أرفض تصديق ما تراه عيناى. فى الواقع أنها لم تجهد لإخفاء العلاقة. كانت مثلاً تذهب معه فى يخته الشراعى حيث تمضى يوماً بكامله، لوحدهما! وحين كنت أسألها عن ذلك، كانت تقول: إنه صديق قديم! وحين كان أصدقائى يقولون لى إنهم شاهدوها بصحبته فى مطعم فاخر، كنت أنا من يقول لهم: إنه صديق قديم. كان يجب أن أعرف، فالإشارات كانت كلها هناك، ولكنى كنت أرفض تصديق الأمر.”

سألته: “وبعد ذلك، ماذا حدث؟”

أجاب: “انفصلنا، ولكنى لم أستطع أن أعيش بدونها، فطلبت منها العودة. أقنعت نفسى أنني أسامحها وأعيدها إلى بيت الزوجية حفلاً لكرامتها. أولادى ضحكوا منى، وقالوا لى إنك مجنون، سوف تعيد الكرة. ولكنى رفضت التصديق. لا، لم تعتذر عما فعلت، ولكنها وعدتني أن تكون مخلصه.”

- “والنتيجة؟”

- “لقد عادت إلى الخيانة والكذب، فتطلقنا نهائياً.”

هذا حوار حقيقى دار منذ سنوات، بينى وبين أحد السوريين فى المهجر.

الحوار الثانى، هذا حوار يحدث كل يوم. اليوم الأول.

- “مستحيل، زوجتى لن تموت. أنظر إليها يا دكتور، ألا ترى علامات الصحة فى وجهها؟ إنها لا تشعر بأى ألم. لا يهملك حبيبتى، سوف تدفيننى وتعيشين بعدى دهرأ. لن يصيبك مكروه. صدقنى.”

الحوار الثانى، اليوم أو الشهر الثانى.

- “ماذا تعنى يا دكتور أنه ليس أمامها أكثر من ستة أشهر وأنه من المستحب أن نبدأ فى ترتيب أمورنا. هراء! إنك تخرف. سوف أذهب إلى طبيب آخر يفهم بالطب وليس شرطاناً مثلك.”

الحوار الثالث، اليوم أو الشهر التالى.

- “رحمتك يا الله. أعرف أنى لم أقم بواجباتى الدينية منذ زمن بعيد. نعم، لقد كنت أعيش كملحد أكثر منى كمؤمن. ولكنى أرجوك اليوم أن تسامحنى وأن تبعد هذه الكأس عن زوجتى الحبيبة. إسفها يا الله، ولك منى نذر أن أسير على الصراط المستقيم، وأن أتبع وصاياك فى كتبك السماوية، وأن أتبرع للفقراء وأن وأن وأن...”

الحوار الرابع، اليوم أو الشهر التالي.

صمت، يقطعه طقطقة مسبحة وتنهديات عميقة تملأ الحديقة. الرجل جالس في كرسيه، نظراته ساهمة، إنه في وهدة الاكتئاب. كرسي الزوجة فارغ.

الحوار الخامس، بعد فترة غير محددة في مطعم فاخر.

- "مضى على وفاة زوجتي فترة من الوقت. كان القبول بالحقيقة هو الأصعب. ولكنني أعتزف أنني لم أرتح إلا عندما قبلت حقيقة أنها قد فارقنتني إلى الأبد. نعم، لدي ذكريات لطيفة جداً عن حياتي السابقة. ولكنني قررت أن الغد، كل غد، سيكون أول يوم مما تبقى لي من حياة. وأريد أن أحييا كل لحظة منها وأن أكون سعيداً. لنشرب نخب تعارفنا".

سواء أكانت الصدمة نتيجة الخيانة أو الموت أو حتى الخسارة المادية أو الإفلاس، وسواء تكونت ببطء أم بشكل صاعق، فإن مسار المشاعر واحد: الإنكار، الغضب، المساومة، الاكتئاب ومن ثم الإقرار. بدون إقرار ليس هناك من إقفال لملف الحداد. تختلف مدة الإقامة في كل مرحلة بين شخص وآخر، وتعتمد إلى حد كبير على نوع العلاقة وعمقها وطبيعتها. بعض الأشخاص يعلق في واحدة من المراحل ويبقى أسيرها، فتراه في حالة إنكار دائم، أو غضب دائم، أو مساومة دائمة أو اكتئاب دائم.

لماذا نتكلم عن هذا الموضوع؟ لأن الخيانة صعبة، والموت كذلك، وكذلك الإفلاس. هذا ينطبق على خيانة الأفراد وموتهم، كما على إفلاس المؤسسات واندثارها. المهم أن نصل إلى الإقرار بالواقع كي نستطيع تجاوز مرحلة الأحران.